# المنطلقات النظرية والمنهجية للنظرية الإنبنائية لدى أنتونى جيدنز

**الباحث/ رامي محمد حسين**

معيد بقسم علم الاجتماع

جامعة قناة السويس

**الملخص:**

يهدف هذا البحث بشكل أساسي إلي استعراض السياق الفكري والأسس المنهجية التي أنطلق منها المشروع العلمي لعالم الاجتماع الإنجليزي " **أنتوني جيدنز** " وتحليل للمشروع الفكري والسياق الواقعي الذي تشكلت من خلاله إسهامات **جيدنز** في النظرية الاجتماعية وذلك من خلال توضيح عدة محاور أساسية وهي : نقدة للنظرية في علم الاجتماع ومحاولتة نقد مشروع الحداثة الغربية وتأكيدة علي أن المجتمع يمر الآن بمرحلة حداثة متأخرة وليس ما بعد حداثة ومن جانب آخر التطرق إلي رافد أساسي لتكوين النظرية الانبنائية وهو الرؤية المنهجية ( الهرمنيوطيقيا ) أو التأويل المزدوج والذي يمثل رؤية مهمة في البحث العلمي والتي أرسى من خلالها عدد من القواعد الأساسية في البحث الاجتماعي والتي يتعين علي الباحث في علم الاجتماع ان يدركها .

**Abstract**:

This research aims mainly to review the intellectual context and the methodological foundations from which the scientific project of the British sociologist "Anthony Giddens" was launched and an analysis of the intellectual project and the realistic context through which Giddens' contributions to social theory were formed through clarification of several basic axes: a critique of the theory in science The meeting and its attempt to criticize the project of Western modernity and asserting that society is now going through a late stage of

modernity and not postmodernism, and on the other hand to address a fundamental tributary for the formation of the structuration theory, which is the methodological vision (Hermeneutic) or double hermeneutic, which represents an important vision in scientific research, which established a number of basic rules in social research, which the researcher .in sociology must be aware of

**المصطلحات الأساسية:** الخيال السوسيولوجي " Sociological Imagination " ، الحداثة " Modernity " ، الحداثة الراديكالية " Radicalism Modernity " ، ما بعد الحداثة " Post Modernity " ، التأويل المزدوج " double hermeneutic ".

**أولاً: جيدنز " إسهاماته وحياته العلمية "**

قدم عالم الاجتماع البريطاني **أنتوني جيدنز** نفسه كمنظر له مكانة عالمية من خلال تأكيده علي ثلاثة أشياء رئيسية في أعماله:

**أولاً:** كمفسر كبير للتراث الكلاسيكي في علم الاجتماع.

**ثانياً:** كمؤسس للنظرية الانبنائية كإطار يوضح العلاقة بين البنية الاجتماعية والفعل الفردي .

**ثالثاً:** كمعلق له رؤية منهجية ومنظمة في الحداثة المتأخرة والعولمة [١]

ولد " **أنتوني جيدنز** " عام ١٩٣٨ في منطقة إدمونتون Edmonton في لندن، كان ابن كاتب يعمل في هيئة النقل في لندن، التحق بجامعة " Hull " وتخرج منها عام ١٩٥٩، وحصل منها علي مرتبة الشرف الأولى في تخصص علم الاجتماع وعلم النفس، وأتم رسالة الماجستير في الآداب عام ١٩٦١، فيما بين عامي ١٩٦٩ – ١٩٧٦ عمل أستاذاً مساعداً في جامعة سايمون فريزر في كندا، ثم ذهب ليعمل محاضراً في جامعة كامبريدج حيث عمل محاضراً في

علم الاجتماع، وحصل علي الأستاذية عام ١٩٨١، وفي عام ١٩٨٥ أسس **جيدنز** دار نشر سميت " بوليتي Polity "، وأصبح مديراً لها [٢]، ومن المعروف عن **جيدنز** أنه مهندس سياسات " يسار الوسط " في بريطانيا وسياسات الطريق الثالث، وعمل كمستشار **لتوني بلير** رئيس الوزراء البريطاني السابق ( حزب العمال البريطاني) [٣]، حيث كانت الروافد الأولى لفكر **أنتوني جيدنز** أنه بدأ بالحديث عن " **ماركس وماكس فيبر ودوركايم** "، وكانت بداية غير مألوفة للمعني في طريق النظرية الاجتماعية ؛ وبناء علي ذلك طور **جيدنز** النظرية الانبنائية Structuration Theory، وبناء علي ذلك عرف **جيدنز** بدراسته للأنساق الكلاسيكية أو الروافد النظرية الكلاسيكية لكبار العلماء أمثال **ماركس وماكس فيبر ودوركايم** . وهذا ما ظهر في كتابه " الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة ".

" ولقد جاءت آراء " **أنتوني جيدنز** " وإسهاماته العلمية لتشمل مجالات متعددة في تاريخ الفكر الإنساني، والعلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلي أنها تُعد محاولة جادة لتوجيه هذه العلوم إلي البحث السوسيولوجي المتعمق التي أرست قواعدة النظريات السوسيولوجية التقليدية والمعاصرة المتعمقة، هذا بالرغم من اتخاذه موقفاً راديكاليا من هذه النظريات وغيرها من النظريات الاجتماعية الأخرى، وذلك في محاولة منه لوضع نظرية سوسيولوجية ترتبط بإسم **أنتوني جيدنز**، مثل ما فعل كل من **بارسونز وفيبر دوركايم وسبنسر**[٤].

وقد تناول " **جيدنز** " في أربعة أعمال كبرى موضوع الحداثة المتأخرة وما يتصل بها من القضايا السياسية، نشرها خلال تسعينيات القرن العشرين، بدأها بكتابه بعنوان " عواقب الحداثة"،وفيه قام جيدنز بتشريح وتحليل القوى المؤسسية الكبرى وخبرات الحياة في هذا العالم المنفلت، مسلطاً الضوء علي الأدوار المحورية في الحياة العصرية، والتي تؤديها الأشكال المؤسسية للانعكاسية والثقة والمخاطرة والنظم القوية المجردة التي لا تهتم بالسياقات المحدودة النطاق، وفي وقت أحدث، بلغ دوره كمفكر جماهيري مكان الصدارة بإصدار سلسلة من المطبوعات الموجهة للجماهير، والتي منها كتابه بعنوان " الطريق الثالث: تجديد الديموقراطية الاشتراكية ". وبذلك بدأ مرحلة جديدة من حياته كرسها كمحاولة إضفاء الدقة المنطقية علي سلسلة من الحلقات الدراسية

التي اشترك فيها مع **توني بلير، وكلينتون وزوجته،** وأعضاء من الحكومة البريطانية ومن الحكومة الأمريكية خلال السنوات الأخيرة [٥].

وإذا نظرنا للسياق الفكري والعلمي لدى " **أنتوني جيدنز** " نرى أنه يتمتع بالتنوع والثراء؛ حيث منحته الخبرة الأكاديمية المتنوعة في ثلاث جامعات أوروبية عريقة في بريطانيا. وكانت بداية الدراسة في جامعة Hull فيما بين علم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا، ثم عند تسجيل درجة الماجستير في مدرسة لندن للإقتصاد والتي شكلت رافداً فكرياً هام، ثم العمل في جامعة كامبريدج وسايمون فريز بكندا. يمكن القول أن هذا المنتج الفكري هو حصيلة دراسات مثمرة وروافد فكرية وأكاديمية متنوعة ساهمت إلي حد كبير في التكوين العلمي القوى لدى " أنتوني جيدنز ".

أما عن الإنتاج العلمي " **لأنتوني جيدنز** " فإنه إنتاج ثرى لعله هو الذي حقق له هذه الشهرة العلمية، فقد كتب علي ما يربو علي مائتي مقال، ما بين مقال بحثي، أو مراجعة كتب، أو مقال صحفي، أما قائمة الكتب التي كتبها فتضم ستة وثلاثين كتاباً أولها كتاب " الرأسمالية أو النظرية الاجتماعية الحديثة " الذي نشره عام ١٩٧١ مروراً بكتب هامة نذكر منها " قواعد جديدة في المنهج السوسيولوجي " عام ١٩٧٦، ونقد معاصر للمادية التاريخية ١٩٨١، " وتكوين المجتمع : الخطوط العامة لنظرية تشكيل البنية " ١٩٨٤، و " الدولة القومية والعنف " ١٩٨٥، و " منتجات الحداثة " ١٩٩٠ "، والحداثة والهوية الذاتية " ١٩٩١، و " الطريق الثالث " ١٩٩٨، و " عالم منفلت : كيف تشكل العولمة حياتنا " ١٩٩٩ [٦] .

ومن أبرز مؤلفات **جيدنز** أيضاً : " البناء الطبقي للمجتمعات المتقدمة " ١٩٧٣، و " دراسات في النظرية الاجتماعية السياسية " ١٩٧٨، و " مشكلات أساسية في النظرية الاجتماعية : البناء والتناقض في التحليل السوسيولوجي " ١٩٧٩، و " ملامح النظرية والنقد في علم الاجتماع " ١٩٨٢ ،و " النظرية الاجتماعية وعلم الاجتماع المعاصر " ١٩٨٧، و " آثار الحداثة " ١٩٩٠، و " الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة " ١٩٩٢، و " تحول العلاقات الحميمية : الحب والحياة الجنسية " ١٩٩٢، و " الحداثة الانعكاسية " ١٩٩٣، و " ما وراء اليسار واليمين " ١٩٩٤ [٧] .

**ثانياً: نقد النظرية في علم الاجتماع**

يرى **جيدنز** " إن من واجب علماء الاجتماع أن يعوا السياق الاجتماعي الذي تتشكل ضمنه النظريات، وليس نقد النظرية في علم الاجتماع نقداً بقدر ما هو إعادة قراءة وتحليل للأفكار التي وردت ضمنه تلك النظريات متمثلاً في كتابات رواد علم الاجتماع الكبار، ولكن هذا لا يقلل من الآخرين " [٨]، ولقد اعتمد **جيدنز** في معرض تناوله لتكوين النظرية الانبنائية علي عدة محاور، لعل أولها وأبرزها نقد نظرية علم الاجتماع، فقد انصب واتجه الفكر لديه لإعادة طرح وقراءة جديدة لمسلمات الفكر الاجتماعي أو بالأحرى النظرية الاجتماعية. وتمثل ذلك في بواكير إنتاجه حول النظرية الاجتماعية في كتابه " الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة: تحليل كتابات **ماركس، دوركايم ،ماكس فيبر** "، ولم يتوقف الأمر عند هذا الكتاب أو العمل بل تبعته عدة مقالات حول هذه القضية ،فهو بمثابة المدقق والفاحص علي ما اعتقد لكل تراث علم الاجتماع، ولا يعنى النقد لديه – سواء للنظريات الكبرى أو غيرها – الهدم بل النقد البناء الذي يشعر معه القارئ أنه ليس نقداً بقدر ما هو مراجعة أو إعادة قراءة للإنتاج الفكري. هذه الطريقة هي التي مكنت أنتوني جيدنز من بلورة إطار نظري قوي مهد لصياغة مشروعه الفكري .

" وقد انشغل **جيدنز** أيضاً بتقديم دراسات حول موضوعات متفرقة في نظرية علم الاجتماع ،فقد حوى كتاب الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة " دراسات حول نظرية الانتحار " عند **دوركايم**، ونظرية القوة عند **تالكوت بارسونز**، ونظرية **هابرماس** في الهرمنيوطيقيا (التأويل) وغيرها من الدراسات. ولقد استمر هذا الجهد النقدي في أعمال أخرى من أشهرها كتابه بعنوان "مشكلات مركزية في النظرية الاجتماعية" الصادر ١٩٧٩، وأيضاً في مجموعة المقالات التي جمعها في كتابه " مراجعات وانتقادات في النظرية الاجتماعية " [٩].

انتقد **جيدنز** العديد من النظريات التقليدية والتي شكلت الأفكار الرئيسية لديه؛ فهو ينتقد التفاعلية الرمزية في أنها تجاهلت دور البنية " البناء الاجتماعي"، وقللت من قوة الأفراد التحفيزية(الدوافع) لديهم. كما انتقد نظرية الدور، كما هاجم أيضاً بنيوية "**ليفي شتراوس**" ومثاليتها لأنها تجاهلت الفعل الاجتماعي لصالح الأنظمة والأبنية الاجتماعية، كما انتقد الاتجاهات البنيوية الكبرى مثل بنائية **بيتر بلاو**، وأنها فشلت في تحديد الوعي الذاتي للأفراد والانعكاسية الذاتية لديهم، ويعتقد **جيدنز** أن كل النظريات البنيوية (البنائية) فشلت في وضع

تصور للبناء علي أنه ينتج ويعيد إنتاج المجتمع بشكل دائم من خلال الارتداد الذاتي للأفراد " الإنعكاسية"، وطبقاً **لجيدنز** فإن أفضل ما تقدمه النظرية الاجتماعية هو تشكيل مفهوم توعوي ينبه الباحثين إلي فهم الفعل البشري في اطار بنية إجتماعية محددة (١٠).

روافد نقد النظرية لدى **جيدنز** والتي ظهرت في كتابه "مقدمة نقدية لعلم الاجتماع"، والبداية غير التقليدية لديه تمثلت في عدة محاور والتي شرح لنا بالتفصيل كيفية استثارة الفكر النقدي لدينا؛ حيث أن ممارسة علم الاجتماع تتطلب منا استثارة وتنشيط ما أسماه رايت ميلز ببراعة "الخيال السوسيولوجي" أي الخيال المستمد من علم الاجتماع، ويقصد به بعض أشكال الحساسية المرتبطة ببعضها البعض والتي لا غني عنها للتحليل السوسيولوجي. فلا يمكن التوصل إلي فهم العالم الاجتماعي الذي أشعلت شرارته المجتمعات الصناعية المعاصرة إلا من خلال ممارسة الخيال السوسيولوجي علي ثلاثة أصعدة في نفس الوقت، وتتضمن أشكال الخيال السوسيولوجي: الحساسية التاريخية، الحساسية الأنثروبولوجية، الحساسية النقدية (١١).

الحساسية التاريخية رغبة تشير إلي الوعي بالتاريخ أي رد الأشياء إلي أصولها وبالتالي نستطيع أن نفهم كيف تختلف معيشة أبناء المجتمعات الصناعية اليوم عبر الأسلوب الذي يحيا به الناس في الماضي؛ ولكن الشئ المطلوب فعلاً هو الاستعادة التصورية "الخيالية" لنسيج أشكال الحياة الاجتماعية التي أندثرت اليوم إلي حد بعيد (١٢).

وإذا كان البعد الأول للخيال السوسيولوجي Sociological Imagination يقوم علي تطوير الحساسية التاريخية أي إحساس الباحث في علم الاجتماع بالبعد التاريخي، فإن البعد الثاني يعني زرع النظرية الأنثروبولوجية في وعي الباحث . فالبعد الأنثروبولوجي للخيال السوسيولوجي مهم لأنه يمكننا من فهم تنوع أنماط الوجود الإنساني المعروفة علي وجه الأرض، والدراسة العلمية المنظمة لتنوع الثقافات الإنسانية أي الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية التي ظهرت في نفس الوقت الذي بدأ فيه التوسع الشره للنظام الرأسمالي والصناعي للقوة العسكرية الغربية والذي بدأ يفعل فعله في تدمير تلك الثقافات، ولكننا نلاحظ أن الجانب الأنثروبولوجي للخيال السوسيولوجي قد برز بوضوح في نقل العلوم الاجتماعية منذ بدايتها الأولى، وكثيراً ما نجد الآن أن الباحث الأنثروبولوجي المعاصر قد تحول إلي مؤرخ للكوارث البشرية أو مؤرخ للثقافات التي يتم إتلافها بفعل التدمير العسكري، فالباحث الأنثروبولوجي كما وصفه "كلود ليفي شتراوس" هو

دارس وشاهد علي تلك الشعوب الأخيرة في الاندثار، فبفضل هذه البحوث الأنثروبولوجية نستطيع أن نحتفظ في ذاكرتنا بصورة حية لأشكال الحياة الاجتماعية التي توشك أن تندثر إلي غير رجعة (١٣).

وإذا جمعنا هذا المعنى الثاني مع الأول، فسوف تمكننا ممارسة الخيال السوسيولوجي من التحرر من القيود الصارمة التي تحصرنا في حدود التفكير في ضوء نوع المجتمع الذى نعرفه هنا ،وهكذا نرى أن كلاً منهما يرتبط مباشرة بالشكل الثالث من الخيال السوسيولوجي، والذي يتمثل بآفاق المستقبل والذي يعني أنه يتعين علينا أن نعي المستقبلات البديلة المتاحة لنا؛ فالخيال السوسيولوجي بمعناه الثالث ينصهر كليه مع مهمة علم الاجتماع في نقد الأشكال الاجتماعية القائمة ولكن النقد يجب أن ينهض علي التحليل (١٤).

إذن **جيدنز** في حديثه عن النظرية الاجتماعية يوضح ثلاثة محاور أساسية يجب أن يعيها الباحث، وهي البعد التاريخي والأنثروبولوجي والنقدي. وهذا المنحى هو الذي – بالفعل – اعتمد عليه في نقد النظرية في علم الاجتماع، وهذا منهج مهم لدى أي عمل يتعلق بالنظرية الاجتماعية، فهو يبنى عليه فكر وصياغة تصوريه وفهم لطبيعة مقولات النظرية في سياق خاص وُجدت فيه وتحليل الباحث إلي أي مدى تصلح هذه التصورات في تفسير الظواهر الحالية.

ثم يردف **جيدنز** بُعداً آخر في نقد النظرية عندما يقوم بعمل تحليل لمفهوم المجتمعات الصناعية كنظرية وانعكاس تطورات المجتمعات علي بزوغ ما أسماه بنظرية المجتمع الصناعي / الرأسمالي. ويستعرض نشأة هذه النظريات من لدن **سان سيمون** وصياغته مصطلح المجتمع الصناعي مروراً **بماركس** والمجتمع الرأسمالي في محاولة منه لفهم كيفية نشأة هذين المجتمعين. ولم يمنعه هذا من الإعجاب بالفكر الماركسي فهو يقول "أنا أؤمن أن الكتابات الماركسية سوف تظل مهمة بالنسبة لعلم الاجتماع وأنها تمثل الركيزة الأساسية التي اعتمدت عليها الإنتقادات التي وجهت إلي فروض نظرية المجتمع الصناعي. هذا مع العلم بأنه مؤلفات **ماركس** تعاني بعض أوجه القصور الظاهرة التي لا يمكن تجاهلها " (١٥).

ثم تحدث **جيدنز** عن ملامح التغير الاجتماعي التي حدثت خلال عقدى الخمسينيات والستينيات حينما كانت نظرية المجتمع الصناعي تحتل مكان الصدارة كإطار مرجعي للتحليل

الاجتماعي ودراسة التطورات التي طرأت علي بنية الأسرة ووظائفها؛ حيث تناول بالتحليل التغيرات في بناء الأسرة، وقدم شرحاً مبسطاً تناول البعد التاريخي والتحليلي في بناء الأسرة، وكيف كانت، وما هي الآن. وأصبح ظهور الأسرة النووية المعلقة علي حدودها وظهور مصطلح الفردية العاطفية. وتحدث عن مسألة النوع وسلطة الأب والنمو الرأسمالي معتمداً علي الكتابات النسوية الحديثة كأحد أهم المؤثرات علي علم الاجتماع العائلي بصفة خاصة، ثم تحدث عن الأسرة والسلوك الجنسي؛ فالفردية العاطفية تبدو وسمة متجذرة بقوة في النظام الرأسمالي المعاصر أكثر من مغامرات وصور التغير الجنسي في الأوقات السابقة ومصطلح الفردية العاطفية عند **جيدنز** مرتبط أشد الارتباط بالسلوك الجنسي (١٦).

انتقد **جيدنز** أيضاً نظرية التحديث وبدأ بتحليل مبسط وقوي للنظرية، واستعرض نشأتها وروادها وكون أنها لا تزال نظرية موجودة رغم كثرة نقادها، وكون أنها أحد أساسيات المجتمع الصناعي ثم قام بتوضيح أنها أي نظرية من النظريات يجب أن تحتوي علي عنصرين فلسفيين مهمين وهما: أبستمولوجيا أي البعد المعرفي والأنطولوجيا أي الوجود والنشأة (١٧) وهذا ما قام به **جيدنز** بنفسه، وقال إن النظرية الانبنائية – التي هو أسسها وتحدث عنها – مثلها مثل أي نظرية يجب أن تعتمد علي هذين الرافدين أي البعد الابستمولوجي والانطولوجي وهما مهمان للتحليل الفلسفي للنظرية.

ثم اختتم **جيدنز** حديثه بالحديث عن الدولة القومية والقوة العسكرية، كون أنها أحد مفردات ومستويات التحليل الذي يتيح لنا فهم وإدراك أوسع لطبيعة ونشأة النظرية، ويرى **جيدنز** أنه لابد لنا عند معالجة موضوع الدولة القومية والقوة العسكرية أن يتجاوز التعارض القائم بين نظرية المجتمع الصناعي والنظريات الماركسية؛ ذلك أن كلاً من هذين التراثين الفكريين لم يطور تفسيرات ملائمة لهذه الظواهر. ويبدو هذا في ظاهره وضع غريب حقاً ذلك أن حقبة القرون الثلاثة الماضية التي شهدت نشوء النظام الرأسمالي العالمي هي ذاتها التي واكبت نشوء الدولة القومية باعتبارها الوحدة الأكثر شيوعاً للتنظيم السياسي في كافة أنحاء العالم. ولقد أرتبط توسع الرأسمالية منذ القرن السادس عشر ارتباطاً وثيقاً بالقوة العسكرية. وخاصة القوة البحرية للغرب، كما أصبحت القومية التي ارتبطت بحركات تتراوح ما بين الفاشية والأجنحة الثورية اليسارية (١٨).

هذا البُعد المعرفي لدى **جيدنز** أتاح له فرصة تحليل ذي طبيعة نافذة لنشأة ثلاثة من أهم العناصر اللازمة لفهم طبيعة النظرية والتي هو نفسه بنى عليها تكوين نظريته الخاصة، فهو يرى أنه يجب علي علماء الاجتماع فهم السياق الاجتماعي الذي تتشكل ضمنه النظريات بشكل أفضل حتى يتيح لهم فهم ظروف معينة في وقت معين.

" ويرى **جيدنز** أنه يجب علينا لكي نفهم نشوء الدولة القومية الحديثة أن نربط بين أصول الرأسمالية والظروف الاجتماعية التي كانت قائمة في أوروبا في فترة ما بعد العصور الوسطى، ولقد ارتبطت نشأة الدولة الحديثة ارتباطاً وثيقاً بظهور المشاعر القومية. ويمكن تعريف القومية "علي أنها مشاعر الارتباط المشترك لبعض الرموز التي تحدد هوية أعضاء جماعة سكنية ما باعتبارهم ينتمون إلي ذات المجتمع الأعم" (١٩) .

حاول **جيدنز** علي مدى الفترة السابقة لبناء نظريته الخاصة ولاسيما في كتابه "تكوين المجتمع" أن يطور طريقة بديلة أو بدائل نظرية للتحليل النظري الذي يعتقد أنه يتغلب علي العيوب الموجودة في النظريات الأخرى (٢٠)، ويتبدى ذلك في تحليل الأعمدة الأساسية من عدة مدارس جديرة بأنها كونت الفكر الاجتماعي الحالي أو هي منطلقات له، وإعتمد علي إعادة قراءة في محاولة منه لفهم أوسع للنظرية وبنى عليها النظرية الانبنائية والتي تحدث فيها عن البنية والفعل بشكل أعمق في ضوء ما أسماه الموارد والقواعد في وجود البنية وتشكُلها في فعل الأفراد(٢١).

مما سبق يتضح أن النقد لدى **جيدنز** هو الخروج عن الفكر النمطي والابتعاد عن أنماط الفكر التي هيمنت علي علم الاجتماع ردحاً طويلاً من الزمن، فأولئك الذين أرادوا لعلم الاجتماع أن يسعى في أثر نموذج العلوم الطبيعية، أملاً في اكتشاف قوانين السلوك الاجتماعي مالوا إلي عزل علم الاجتماع عن التاريخ؛ ولذلك يجب علينا التأكيد علي أن علم الاجتماع والتاريخ علوم غير قابلة للفصل، ويجب علينا أن نفهم كيف يُصنع التاريخ من خلال المشاركة الفعالة ونضالات البشر في ذلك الوقت الذي يصوغ فيه أولئك البشر أنفسهم، ويفرزوا نتائج لم يسعوا إليها أو لم يكن بوسعهم التنبؤ بها وليس هناك شئ أكثر أهمية من ذلك بالنسبة للخلفية النظرية لعلم الاجتماع في عصر يتأرجح ما بين الفرص الإنسانية من ناحية والكوارث الكونية من ناحية أخرى (٢٢) .

من هذا الأساس يتبين لنا أن علم الاجتماع كنظرية نقدية لا يقبل العلم الاجتماعي بوصفه شيئاً مسلماً به . إنه يطرح تساؤلاً هاماً مؤداه ما هي أنماط التغير الاجتماعي الممكن والمرغوب فيها ؟ وكيف لنا أن نجاهد من أجل تحقيقها؟، كذلك يجب علي علم الاجتماع أن يبحث في قضايا هامة منها مسألة العلاقة بين البشر والطبيعة والموارد التي تتيحها الطبيعة للحفاظ علي الحياة البشرية ومشكلة القهر السلالي أو العرقي وقضية القهر النوعي للرجال (قهر الرجل للمرأة) وكذلك قوة الدولة بما في ذلك ارتباطها بالترويج للعنف [٢٣]. إنه يتعين علي النظرية الاجتماعية النقدية أن تسعى إلي تحقيق قدر أكبر من الفهم الملائم لنظام الدولة القومية العالمي يفوق ذلك الذي حققه الذين يعملون في إطار التقاليد الماركسية الجامدة، ويرى "**جيدنز**" أن من واجب علم الاجتماع فهم السياق والظروف التي تشكلت فيها تلك النظريات والبيئة التي أفضت إلي ذلك [٢٤].

**ثالثاً: محاولة نقد مشروع الحداثة الغربية**

تشير الحداثة عند "**جيدنز**" إلي أنماط ونظم الحياة الاجتماعية التي ظهرت في أوروبا منذ حوالي القرن السابع عشر فصاعداً، والتي أصبحت فيما بعد بشكل أكبر ومتفاوت. لها تأثير في جميع أنحاء العالم [٢٥]، وتتضمن مناقشة "**جيدنز**" وتحليله لمشروع الحداثة رؤية أصيلة وفريدة في التغيرات الأساسية التي تميز الحداثة وقد ظهر ذلك بشكل واضح في أثناء حديثه عن النظرية الانبنائية وعلم الاجتماع التاريخي حيث وجود المخاطر والانعكاسية، أي تأمل الذات الذي يوفر إطاراً مفاهيمياً فريداً من نوعه لفهم وتمييز عالم الحداثة المتأخرة[٢٦]؛ ولذلك يرى **جيدنز** أن العصر الحالي لا يمكن أن نسميه ما بعد الحداثة فهو حداثة متأخرة حيث انفصال الزمان والمكان وانتشار الانعكاسية والانتقال من التفكير في النسق إلي التفكير في الذات.

فإذ كان "**جيدنز**" يرفض غالبية مقولات ما بعد الحداثة، ويرى أنها غير واضحة؛ فهو يرفض وصف الفترة الحالية ما بعد حداثية في قوله: " أؤكد أن الوضع الحالي الذي نحياه ونعيشه ليس ما بعد حداثي والذي أرفضه تماماً" [٢٧]، وبالتالي يترتب علي ذلك رفض قاطع لمصطلح ما بعد الحداثة. وإننا ما زلنا نعيش في مرحلة الحداثة، وإننا لم نعش بعد في مرحلة وعالم ما بعد الحداثة. وإن كنا نرى ظهور لمحات وسمات قليلة لظهور طرق للحياة وأشكال المؤسسات

الاجتماعية تتباين بشكل أكبر وبشدة عن تلك الطرق والتي كفلتها الأنظمة والمؤسسات الحديثة(٢٨).

ويُشير "**جيدنز**" إلي أن التغيرات الثقافية والسياسية والاقتصادية والتكنولوجية البالغة التأثير هي سبب ما يميز الحداثة منذ ظهورها، ورغم ذلك فإن الموجة الجديدة من التغيرات لم تحطم وتصدع أو تشوه كل الأبنية الاجتماعية. وكتب جيدنز أعمالاً كبرى عن الحداثة بداية من كتابه "الحداثة المتأخرة والسياسة"، ثم حلل في كتابه "عواقب الحداثة" القوى التنظيمية وتجارب الحياة في هذا العالم الشارد، وكذلك الأدوار الرئيسية التي يلعبها الناس في الحياة المعاصرة، وحلل الانعكاسات التنظيمية والمخاطر والثقة وأنساق القوى غير الواقعية المجردة التي تعطي احتراماً وتقديراً للبناءات المحلية والأعمال الحديثة العصرية (٢٩).

ويوضح لنا جيدنز بشكل مميز من خلال سياق حديثه عن الحداثة كون أن هذا التحليل يوضح لنا بشكل جلي وواضح طبيعة المرحلة الحالية ويتعارض مع ما بعد الحداثة ورؤيتها. وقد طرح مقارنة تحليلية لتوضيح أنه لا يوافق علي مصطلح ما بعد الحداثة، ويرى أن المرحلة الحالية حداثة راديكالية أو متأخرة والجدول التالي يعقد فيه مقارنة بين الحداثة الراديكالية باعتبارها تفسر الوضع الحالي عن ما بعد الحداثة.

جدول يوضح الفرق بين الحداثة الراديكالية وما بعد الحداثة كما يرى **أنتوني جيدنز** (٣٠)

| الحداثة الراديكالية Radicalism | ما بعد الحداثة Post modernity |
|---|---|
| ١- تظهر التطورات المؤسسية التي تعطي معنى | ١- التحول الحالي يمكن فهمه من خلال |

| | |
|---|---|
| للتشتت والتجزؤ (التطور المؤسسي). | مصطلحات أبستمولوجية ( معرفية ) أو تحل الأبستمولوجيا تماماً. |
| ٢- تُرى الحداثة العليا كمجموعة من الأحوال والظروف التي عن طريقها يرتبط التشتت بشكل جدلي بتوجهات عميقة للتكامل الاجتماعي . | ٢- تركز ما بعد الحداثة علي النزعات اللامركزية للتحولات الاجتماعية الحالية وطبيعتها المعطلة (المعوقة ) . |
| ٣- ترى الذات ليست فقط موقعاً للقوى المتداخلة بل مجموعة عمليات نشطة للهوية الذاتية الانعكاسية وتصبح ممكنة من قبل الحداثة . | ٣- ترى أن الذات مشتتة بفعل تشتت الخبرة . |
| ٤- السمات العالمية لمقولات إدعاءات الحقيقة تهيمن علينا علي نحو لا يقاوم وبالتالي تعطي الأولوية لمشكلات النوع العالمي؛ فالمعرفة المنظمة حول تلك التطورات غير مستبعدة من قبل الانعكاسية الحداثية. | ٤- تجادل لأجل إدعاءات في سياق الحقيقة أو تراها تاريخية. |
| ٥- تعمل علي تحليل جدلية التمكين وانعدام القوة من ناحية كل من الفعل والخبرة. | ٥- الأفراد يشعرون بالعجز ويفتقدون القوة في مواجهة نزعات العولمة (التعولم). |
| ٦- الحياة اليومية مثل مركب نشط من ردود الأفعال للأنساق المجردة خاصة مثلها مثل الفقدان والخسارة. | ٦- تفريغ الحياة اليومية كنتيجة لتطفل الأنظمة المجردة . |
| ٧- تعتبر الالتزامات السياسية المنسقة ضرورية وممكنة علي المستويين المحلي والعالمي أيضاً. | ٧- الالتزامات السياسية المنسقة معوقة بسبب أسبقية السياقية والتشتت. |
| ٨- تعتبر ما بعد الحداثة تحولات محتملة تتحرك إلي مؤسسات ما بعد الحداثة. | ٨- تعتبر ما بعد الحداثة نهاية لأبستمولوجيا الفردي /الأخلاقي. |

من العرض السابق في الجدول للمقارنة التي عقدها **جيدنز** بين مصطلحي الحداثة الراديكالية التي تميز المرحلة الحالية التي نعيشها ومرحلة الحداثة المتأخرة والتي لم تأت بعد علي نحو ما يرى؛ فهو يحليل كون الحداثة الراديكالية التي تتميز بوجود بعد مؤسسي متطور يعطي معنى للتشتت والتجزؤ داخل تلك المؤسسات ويرى أن ما بعد الحداثة كمرحلة ناتجة عن تحولات مجتمعية عميقة والذات الإنسانية ليست فقط موقعاً للقوى المتداخلة بل مجموعة عمليات نشطة ناتجة عن التأمل الذاتي للأفراد لذواتهم .

ويؤكد "**جيدنز**" بشكل محدداً أن الحداثة تستلزم تحدياً دائماً للاعتقادات والعادات والمؤسسات التقليدية. ولا جديد في هذا بالنسبة لفكر الحداثة ولكن المبتكر هو الطريقة التي يربط بها **جيدنز** هذه التطورات بالذات وتشكيل الهوية [٣١]. وركز **جيدنز** اهتمامه علي المشكلات والصعوبات الموجودة أي علي الحقائق التي ترتبط بالواقع المعاصر المعيشي من أجل المحافظة علي العلاقات الشخصية السائدة في المجتمعات الغربية الحديثة منذ الحرب العالمية الثانية، ويرى أنه ثمة قوتان لهما أهمية خاصة في العصر الحالي:

١- أُفول ونهاية بُعدي الزمان والمكان باعتبارهما حاجزين أمام سيولة الأنساق الاجتماعية.

٢- الإفراط في الإيمان بالسلطة المحلية والثقافة المحلية غير الرسمية وقيام نظام اقتصادي بعيد عن الواقع [٣٢].

إذن الحداثة ليست مجرد تغيير أو تتابع أحداث... إنها انتشار لمنتجات النشاط العقلي العلمية والتكنولوجية والإدارية، فهي تتضمن عملية التمييز المتنامي لعديد من بين قطاعات الحياة الاجتماعية السياسية والاقتصادية والحياة العائلية والدين والفن علي وجه الخصوص[٣٣].

وبالتالي فإن المعالم الرئيسية لهذه المرحلة المتأخرة من الحداثة هي وجود ثلاث سمات وصفات بشكل أساسي تهيمن وتسيطر علي هذه المرحلة، وكل منها مرتبط بالآخر وهي كالتالي:

١- **الانفصال الزماني – المكاني (التباعد)**: أي انفصال الزمان والمكان تلك هي طبيعة التباعد الزماني والمكاني لمدى أو حيز غير محدود؛ فهو يعطي وسائل وآليات

لهذا التباعد الزماني والمكاني بشكل دقيق بالغ الدقة [٣٤]، والبعد الأساسي هو الانفصال والتباعد الزماني المكاني في حيز ونطاق مكاني وزماني غير محدود معتمداً علي قواعد محددة في هذا الانفصال في استدعاء البشر والأمكنة التي كانت متباعدة من قبل.

٢- **الانطلاق والتحرر (اللاتقيد)**: حيث تطور الآليات المتحررة ذلك النشاط الاجتماعي الغير مقيد والمتحرر من السياقات المحلية، وإعادة تنظيم العلاقات المنظمة التي تنتشر وتعيد ساحات زمنية ومكانية لمدى بعيد والانفتاح بشكل غير مسبوق.

٣- **الانعكاسية**: التناول الانعكاسي للمعرفة حيث يتم فحص وإعادة تشكيل للممارسات الاجتماعية بإستمرار في ضوء المعلومات التي تفد إلينا بشأن تلك الأفعال والممارسات وبالتالي هي في حالة مستمرة من إعادة الإنتاج والتشكل بعيداً عن الثوابت والقواعد التقليدية [٣٥].

الأبعاد الأساسية والمعالم الرئيسية لدى **جيدنز** عن الحداثة المتأخرة تمثلت في وجود ثلاثة سمات مرتبطة ببعضها، تمثلت في الإنفصال الزماني والمكاني وعدم التقييد بالمحدود المكاني والزماني، وكذلك التحرر واللاتقيد بالسياقات المحلية والإنطلاق نحو آفاق كبرى وأنساق ليست محلية فقط، والإنعكاسية التي تعبر عن تأمل الأشخاص لذواتهم الفاعلة وإعادة تشكيل الممارسات والأفعال الاجتماعية باستمرار من خلال بعد أبستمولوجي، وفي ضوء ما نعرفه عن المحيط الذي تتفاعل فيه بعيداً عن التقليدية.

"فثمة خصائص أساسية ثلاث تميز الحداثة المتأخرة Late Modernity: انفصال الزمان والمكان، تقلقل المؤسسات الاجتماعية وإعادة النظر. ويشير إنفصال الزمان والمكان إلي تغيرات تقف وراءها القدرة علي تنسيق النشاطات الاجتماعية دون أن يكون من الضروري الرجوع إلي خصوصيات المكان أو الإشارة إليها؛ فالطبيعة الآلية الفورية التي تميز الاتصال الجماهيري في العالم الحديث المتأخر تعني انتهاء الشعور بأننا مقيدون في فهمنا للعالم إلي النقاط المرجعية الخاصة بمكان محدد، حيث يمكننا أن نتواصل كل يوم علي أساس عالمي ونجرى تعاملاتنا الشخصية أو المالية بكبسة علي فأرة الحاسوب، ما يعني أن البشر والأمكنة التي كانت متباعدة

من قبل صار من الممكن استحضارها إلي حياتنا مباشرة في التو واللحظة، ولا عجب إذاً أن يقل إلتزامنا بمحلية أخلاقية محددة، وهذا ما يعنيه جيدنز بتقلقل المؤسسات الاجتماعية الأمر الذي يصفه بأنه انتزاع العلاقات الاجتماعية من سياقاتها المحلية وإعادة الإفصاح عنها عبر مسارات زمنية ومكانية لا نهاية، لها وكذلك إعادة النظر تعني أن معظم أوجه النشاط الاجتماعي والعلاقات المادية، وكذلك الطبيعية إلي مراجعة مستمرة في ضوء المعلومات والمعارف التي يتم إعادة إنتاجها أساساً (٣٦). وهذا يقود **جيدنز** إلي رفضه فكرة أن العصر الحالي ما بعد حداثي؛ ولكنه حداثة متأخرة طبقاً للخصائص التي تميز هذه الفترة .

فيما يتعلق بالمعرفة ونظرية المعرفة استمر "**جيدنز**" لاحقاً في التأكيد علي التمييز الأنطولوجي الأساسي بين معرفة المجتمع ومعرفة الطبيعة. وقد تجلي ذلك في كتابه المعنون " عواقب الحداثة " (٣٧)، وبالتالي يكون إنتاج معرفة منظمة عن الحياة الاجتماعية مكمل ومساعد لإنتاج نظام حياة اجتماعية بعيدة عن الثوابت التقليدية، وبالتالي "**جيدنز**" يرى أن هذه السمات الثلاث تمكننا من فهم وإيضاح ما نحيا فيه ونعيشه في عالم حديث، وأن ذلك أقرب لكونه قوة تدميرية تسير في اتجاهات كثيرة، وهي ليست معروفة لنا وخارج السيطرة (خارج نطاق التحكم)؛ وبالتالي لا نملك السيطرة عليها (٣٨).

ويعود **جيدنز** إلي التأكيد بشكل أساسي علي أن هذه المرحلة هي مرحلة حداثة متأخرة رغم ما بها من تحولات فيقول: " بدلاً من الدخول في فترة ما بعد الحداثة ننتقل إلي مرحلة تصبح فيها عواقب الحداثة أكثر تطرفاً من ذي قبل ؛ فبالرغم من أننا نتحرك داخل تبعات الحداثة التي أصبحت أكثر تطرفاً من ذي قبل إلا أننا علينا أن ندرك ملامحاً لنظام جديد ومختلفاً عن ما بعد الحداثي ولكنه مختلف تماماً عما يطلق عليه الكثيرون في الوقت الحالي ما بعد الحداثة" (٣٩).

بالتالي اعتمد المشروع الفكري **لجيدنز** علي رافد أساسي وهو رؤيته حول الحداثة ونقده لمشروع الحداثة الغربية، وتلك هي السمة الرئيسية في إطار المشروع النظري **لجيدنز** (٤٠)، ويدرك **جيدنز** أن الحداثة تفهم من خلال أربعة أبعاد يراها مستقلة نسبياً ليس بشكل كامل بل بينها ارتباط نسبي علي سبيل المثال: النزعة العسكرية والجيوش والقوة التنظيمية والمؤسسات الإدارية بينها ديناميكية بإعتبارها المصدر الأساسي للتهديد بالحروب والحرمان من الديمقراطية، ويؤكد بشكل آخر علي أن الرأسمالية هي بعد رئيسي في فهم الحداثة ولكنها أي الحداثة تؤكد أن العالم

الحديث ليس مجرد رأس مال [٤١]. حيث من هذا المنطلق يؤكد **جيدنز** أننا في مرحلة حداثة متأخرة وليس ما بعد حداثية حيث إن العالم يعيش تحولات وتحركات بشكل سريع إلا أن ادراك الأفراد لابد وأن يشتمل علي ادراك شكل جديد للنظام الاجتماعي يعتمد علي أبعاد اساسية مثل الانفصال الزماني والمكاني أي عدم التقيد بفكرة المحلية وظهور السياقات الاقليمية بفعل التقدم التقني .

هناك أربعة أبعاد رئيسية ومؤسسية للحداثة وهي التصنيع ونمط الإنتاج، وسيطرة القوة العسكرية، وسائل العنف والسيطرة علي المعلومات، والرقابة كوسيلة لتوليد الإدارة المتسلطة [٤٢] ،ويزعم **جيدنز** أن إحدى خصائص الحداثة المتأخرة وجود وعي قومي بإخفاق الحداثة خاصة فيما يتعلق بالدمار الذي أحدثته بالبيئة، وما يمثله ذلك من أخطار للجنس البشري، ويرتبط ذلك بإنحسار الإيمان بالتقدم والانصراف عن القضايا السياسية والقضايا العامة إلي الاهتمامات الفردية والشخصية [٤٣].

إذن **جيدنز** يرى أن الحداثة تتسم بخصيصتين أساسيتين هما:

١- التصنيع:

- جوانبه المادية مثل الآلات.
- علاقاته الاجتماعية مثل الطبقات الاجتماعية بصفة أساسية.

٢- الرأسمالية: أي إنتاج السلع باستخدام العمل المأجور من أجل السوق التنافسية.

وللحداثة خصائص أخري أساسية هي:

٣- المراقبة: أي قدرة التنظيمات – بما فيها الدولة – علي الحصول علي معلومات عن الأفراد والجماعات ومراقبتهم.

٤- المقدرة علي الحرب الشاملة: بسبب التكنولوجيا الصناعية.

ويواصل " **جيدنز** " تحليله فيرى أن أوضح الصور الاجتماعية للحداثة هي الدولة القومية Nation – State [٤٤]، والحداثة هي نسق خارج السيطرة يظهر بأشكال عديدة وموجودة

ضمناً في الأسلوب الذي يصر فيه علي اعتبار العالم الحديث فريداً في خصائصه، ويفترق إفتراقاً تاماً عما سبقه [٤٥]. ويعكس فكر **أنتوني جيدنز** حول الحداثة تحولاً واضحاً في موقفه النظري الواضح في بعض المجالات خاصة في الفعل والأبستمولوجيا؛ وبالتالي فالحداثة عنده تتمثل في قطيعة حادة مع النظام الاجتماعي التقليدي... هذه القطيعة تمثل تحولاً عميقاً بشكل موسع وقوي، علاوة علي ذلك فإن الحداثة إنجاز يتعدي كل تمايز طبقي بحيث يكون تأثيره عالمياً إلي حد ما بغض النظر عن مدى الحد من الوضع الطبقي الاجتماعي لأفراد وجماعات معينة [٤٦].

فالحداثة من حيث التأثير عالمية، ولكن عالميتها ليست فقط من تأثيرها العالمي؛ ولكن من حيث طبيعة المعرفة الانعكاسية للأفراد وديناميكيتها [٤٧]، وعلي الرغم من أن **جيدنز** شدد بوضوح علي أن الحداثة تمحق التراث فإنه يزعم أن الاتجاهات والسلوكيات التقليدية تظل مستمرة، وتسهم فعلياً في المراحل المبكرة للتنمية الاجتماعية الحديثة. ففي بدايات القرن التاسع عشر كانت الصفوات المركزية والمحلية تستشهد بالسلطات التقليدية: السياسية والدينية لتشجيع العمل الشاق والامتثال ولو في سياق صناعي وحضري متنام، كما أكد **جيدنز** علي الطبيعة الإبداعية للتراث خاصة التشديد المتزايد علي"الأمة" كنواة للولاء والتضامن الاجتماعي، ومع ذلك لا ينتهي المجتمع المحلي بين المراكز وضواحيها في مواجهة الإحساس المتنامي بالهوية القومية بل إن المناطق والضواحي الحضرية الجديدة غالباً ما تُنمي شخصيتها وتقاليدها المستقلة استقلالاً جزئياً عن الاتجاهات القومية: الاقتصادية والثقافية [٤٨].

ويجادل " **جيدنز** " باستمرار أن علم الاجتماع يجب أن يُنظر إليه كإنتاج للحداثة، وأن الموضوع الرئيسي فيه هو الحداثة وبالتالي جميع المجتمعات ما قبل الحداثية نشأت من خلال ثقافتها التقليدية ؛ فالمغزى والشرعية ينشآن المؤسسات التي يدعمها العرف والدين والسلطة التقليدية، إذ ينصاع الناس للتوقعات الاجتماعية دون ترو ودون أي اعتبار عقلاني، وذلك ببساطة علي أساس التزامهم العاطفي بفضل التقليدية في الفعل وعاداتها المصاحبة، وعلي النقيض من ذلك يتم بناء المجتمعات الحديثة بفضل الترشيد المنهجي للحياة الاجتماعية التي تمثلت في ثقافة انعكاسية . وقد أخذ العالم اليومي الاجتماعي والثقافي في افتقاد طابعه التقليدي، وأصبح أكثر دعماً للأفعال العقلانية والانعكاسية، وقد أجرى تحدياً للتقاليد وتقودت بأشكال من الفكر العقلاني التي حولت المؤسسات الاجتماعية إلي مؤسسات حداثية جديدة تماماً، ولم يعد الناس في المجتمعات الحديثة

قادرين علي الاعتماد علي المبادئ والممارسات المحددة مسبقاً. ويجب أن تخضع أفعالهم باستمرار للمراجعة في ضوء المعلومات والمعارف الجديدة ويصبح الاختيار الفردي ضرورة، وتصبح المعرفة العقلانية والعلمية عنصراً مركزياً في ممارسة هذا الاختيار(٤٩).

يزعم "**جيدنز**" أنه في وقت لاحق سوف تتضح بشكل أكبر آثار التغيرات والانعكاسية الحداثية لبيئة من الأخطار والثقة ويتضح ذلك في المجتمع المعاصر (٥٠)، ومن المؤكد أن **جيدنز** علي صواب فيما يتعلق بتأثير العولمة علي تفكك العادات والتقاليد الراسخة. ومع ذلك فمن الأمور الثابتة أن جانباً من توكيد الهوية يستوجب وجود تاريخ أو تراث، فعلى سبيل المثال يبدو أن البريطانيين المتحمسين لانضمام بريطانيا للإتحاد الأوروبي، وكذا المتشككين في هذا الأمر يتساويان في قدراتهم علي الاستشهاد بتقاليد الصداقة أو التنافس مع أوروبا، وهذا يتناسب مع الهوية البريطانية التي يريدون بناءها لبريطانيا اليوم. ومن القضايا المعاصرة الهامة هي ما إذا كان العالم الإسلامي يمكن أن يحتفظ بتقاليده وأساليب حياته في مواجهة تيار التفكك والرأسمالية الكونية(٥١).

وهذا يدفع **جيدنز** إلي التأكيد علي أن الإنسان أصبح هو الكائن المتمركز حول ذاته والمهتم بتحقيق ذاته بنفسه، ويلح أيضاً علي تكامل كوكبة الأحداث الاجتماعية مع صعود الفردي: الذي يؤدي إلي انبثاق الهوية الذاتية (٥٢). وبالتالي زيادة الوعي الذاتي فسمة هذه المرحلة هي الانتقال من التفكير القائم علي النسق إلي التغذية الذاتية أو الارتداد الذاتي (الانعكاسية) التي يمارسها الفرد من خلال ما يمتلكه من معلومات تتيح له فرصة ممارسة الانعكاس .

وبالتالي تكون الحداثة أكثر تطرفاً بسبب أنها تركز وتكثف تأكيدها علي الفردية والانعكاسية المؤسسية في غياب أسس مؤكدة للمعرفة ويكون هناك اتجاه وميل مستمر ومزمن لوجود عدم اليقين وإعادة الإنتاج بطريقة مرتبة (٥٣)، ولذلك يرى **جيدنز** أنه ليس كافياً أن نخترع مفاهيم ومصطلحات جديدة مثل ما بعد الحداثة وغيرها لتحليل المجتمع في مرحلته المتأخرة حداثياً، وبدلاً من ذلك يجب علينا أن نتفحص ونحلل طبيعة الحداثة ذاتها والتي – لبعض الأسباب – لم يتم تناولها واستيعابها بشكل مبسط في العلوم الاجتماعية حتى الآن (٥٤)، وهكذا يرى **جيدنز** أن المجتمعات المعاصرة هي بالفعل ما بعد حداثية قبل الآوان، فالتغيرات الثقافية وغيرها من التغيرات الواضحة في المجتمعات المعاصرة هي السمة المميزة بالفعل لمجتمعات مرحلة ما

بعد التقاليد، ولكنها تطورت في صورة راديكالية باعتبارها حداثة انعكاسية في حقبة الحداثة المتأخرة، ورغم أن **جيدنز** يشعر أنه من الممكن رسم معالم نظام إجتماعي ما بعد حداثي ويرى ذلك احتمالية كامنة في الحركات التحريرية فالبناءات الفعلية ما بعد الحداثية لا تزال طريقاً طويلاً لم ينشأ بعد (٥٥).

وبذلك قدم "**جيدنز**" صورة من النقد البناء لفكر ما بعد الحداثة من خلال المعالجات المطولة لفكرة الحداثة الراديكالية كرؤية بديلة تتصدى لمقولة ما بعد الحداثة حول ولوج المجتمع الإنساني إلي مرحلة جديدة إصطلح علي تسميتها ما بعد الحداثة، ومن خلال تحليلاته علي مستويي الماكرو والميكرو للتغيرات التي شهدها المجتمع الحداثي، وأخيراً من خلال تبريراته المنطقية لرفض مقولة ما بعد الحداثة حول استحالة المعرفة النظامية (٥٦)حتى وإن كان العالم الحديث فريداً في خصائصه ويختلف اختلافاً تاماً عما سبقه .

## رابعاً: رؤية جيدنز المنهجية والإستناد لمفهوم التأويل : Hermeneutic

انطلق "**جيدنز**" في تأسيس النظرية الانبنائية من خلال رؤية منهجية واضحة وثاقبة معتمداً في ذلك علي أسس معرفية هامة شكلت الرؤية المنهجية الخاصة به، واعتمد فيها أيضاً علي مفهوم التأويل المزدوج (الهيرمينوطيقيا). وانطلق **جيدنز** في بناء المنهجية العلمية من خلال استفادته من جميع الروافد الفكرية التي سبقت بل وبنى عليها، حيث اعتمد **جيدنز** على مصادر أخرى في رؤيته المنهجية التأويلية فنجد أنه استفاد من الفلسفة التحليلية "**لفيتجنشتاين**" وكذلك من الفينومينولوجيا الوجودية وخاصة لدى "**شوتز**" وكذلك الاثنوميثدولوجيا وكذلك هيرمينوطيقيا " **بيتر ونيش**" أيضًا استفاد من البنيوية ومن فلاسفة اللغة وتأثر بأفكار "**جادامر وأبل وهابرماس**" في النظرية النقدية (٥٧). كما شكلت هذه الأفكار أحد الأعمدة المنهجية في تكوين فلسفة أبستمولوجية كونت لب الرؤية المنهجية والتي اعتمد فيها علي مفهوم التأويل المزدوج الذي يتم علي مستويين هما تأويل الناس لأفعالهم وتأويل الباحث نفسه لمحاولة فهم وإدراك الذوات الفاعلة.

" ويُمكن البدأ في فهم وتحليل هذه الرؤية من خلال شرح الروافد الأبستمولوجية والأسس المعرفية التي اعتمد عليها ؛ ذلك أن **جيدنز** مزج بين عدة اتجاهات واستفاد منها فجاءت أفكاره توليفية أحياناً ؛ فقد نقد ما أسماه بالاجماع القديم Orthodox Consensus الذي اتخذ

مساراً وضعياً ولكنه استفاد من بعض أفكاره، كما جمع خيوطاً من الانتقادات المعاصرة للوضعية التي طورها فلاسفة العلم، وشدد علي ضرورة إحياء التراث التأويلي (الهرمينوطيقي). ويقصد بالإجماع القديم الآراء التي انطلقت من المسلمات الفلسفية الوضعية أو الطبيعية التي سادت مختلف فروع العلم الاجتماعي، وفي مقابل هذا النقد للاجماع القديم ذي الصبغة الوضعية يجد **جيدنز** في النقد الذي ظهر في إطار فلسفة العلم فائدة لتطوير رؤية نظرية تتجاوز هذا الإجماع عند فيلسوف العلم "**بيتر ونيش**" وخاصة أطروحاته في كتابه بعنوان " فكرة علم اجتماعي "(٥٨).

جاءت أفكار وآراء "**أنتوني جيدنز**" عن "**بيتر ونيش**" وأعماله المنهجية بعد أن أفاد منها بنفسه في كتابه "قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع"؛ إذ أنه أكد علي نقد "**بيتر ونيش**" لكل العلوم الاجتماعية لاعتمادها علي التفسير السببي أي مبدأ السببية والقياس، العقلي فهو يرى أن العلوم الاجتماعية هي علوم تفسيرية تأويلية وبالتالي فمن الضروري للعلم أن يبحث عن الفهم العميق (٥٩).

وعالم الاجتماع يُحلل ويأول الواقع الاجتماعي، الذي كان قد سبق تأويله من قبل الفاعلين، مما يترتب علي هذا ما أسماه " بالتأويل الثنائي " double hermeneutic، فمتى يتم تشكيل المفاهيم في علم الاجتماع، فإنها تتسرب إلي الحياة اليومية الأمر الذي قد يبدل طرق تفكير الناس؛ ولهذا فإن من وظائف البحث الاجتماعي الاهتمام بما لم يتم التعبير عنه من قبل الفاعلين في إطار زماني ومكاني ويقترب هنا مفهوما " **الوظائف الظاهرة والكامنة لميرتون** " دون أخذه بالتفسير الوظيفي، يعبر عن جانبي الوعي واللاوعي أو درجة القصدية في الفعل الإنساني (٦٠).

ويوضح "**جيدنز**" هنا لنا مفهوماً هاماً جداً وهو التأويل المزدوج والذي يمر بالفاعل ثم الباحث الاجتماعي، الذي يؤل ما تم تأويله. وهنا يعتمد في تحليله عن جانب الوعي واللاوعي أو درجة القصدية في الفعل الإنساني في أن الأفراد لديهم الوعي والفهم والنية نحو فعل بعينه دون غيره أم أنهم لا يعون ذلك، وإلي جانب تفسيره لمسألة وجود قصد أو هدف من وراء الفعل وهل يتم ذلك من خلال درجة وعي أم بدون وعي.

إن العلم الاجتماعي لا يجب أن يبحث عن القواعد العامة وإنما يجب أن يسعى نحو الفهم المتعمق للفعل الإنساني الذي يعد بطبيعته قابلاً للفهم. ويتحقق ذلك من خلال اكتشاف المعاني الكامنة خلف الأفعال عن طريق درس القواعد التي يجب أن يتبعها الفاعلون في سلوكهم؛ فالسلوك ذو المعني هو نشاط موجه بالقواعد التي تمنح الفاعل تبريرات لسلوكه، وعملية فهم المعنى والتبريرات تفترض ربط السلوك بالقواعد المحددة. له وبناء عليه فإن هذه القواعد ليست قوانين بالمعني القائم في العلم الطبيعي وإنما هي واجهات للمعاني الداخلية المرتبطة بأفعال البشر والتي تتطلب فهماً متعمقاً. وفي هذه الحالة فإن البحث عن العلاقات السببية ليس مهمة للعلوم الاجتماعية لأنها علوم تأويلية (٦١).

وتعد فكرة النتائج غير المقصودة إحدى ركائز مدخل **جيدنز**، ويقصد بذلك أن أفعال الناس لها نتائج غير مقصودة بصفة مستمرة، وهذه النتائج تصبح شروطاً غير معروفة للفعل وتغذيه تغذية مرتدة، وتحول تلك الشروط دون جهود السيطرة عليها؛ ومع ذلك يبذل الفاعلون قصارى جهدهم بصفة مستمرة لوضع تلك النتائج غير المقصودة تحت السيطرة (٦٢).

واعتمد "**جيدنز**" هذا النقد الذي جاء به **ونيش**، وأرسي بذلك أحد الأبعاد المنهجية لنظرية تشكيل البنية، ويقصد به التأويل، لقد كان **جيدنز** يقول بأن النظرية الاجتماعية هي " نظرية متشبعة بالتأويل"، ويجب أن تساير الاهتمامات المعاصرة بالتأويل، كما في نظرية النص، وفلسفة العلم، ويقصد **جيدنز** بهذه العبارة أن التأويل يحيط بالنظرية الاجتماعية من كل جانب، فمهمة العالم الاجتماعي هي مهمة تأويلية، كما أن الموضوع الذي يفسره يتأسس في تشكيله علي تأويل للأفعال اليومية في الحياة الاجتماعية. وهذا ما يطلق عليه **جيدنز** التأويل المزدوج double hermeneutic (٦٣).

ويتضح أن " **جيدنز** " اعتمد علي منهجية تقوم علي مفهوم التأويل المزدوج وهو أن العالم الاجتماعي صاحب الرؤية الثاقبة يقوم بتأويل واقع سبق وأن تم تأويله من قبل الفاعلين أنفسهم. ويظهر ذلك في النظرية الانبنائية فعندما بدأ في تكوين تلك النظرية بدأ يؤسس ذلك، وقد ظهر في كتابه" قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع " فقد عرض فيه بشكل مفصل لتلك الرؤية التي تأثر فيها بنظرية الفينومينولوجيا الاجتماعية، وأفاد من **ونيش** وأعماله. فإذا كانت النظرية الظاهراتية أو الفينومينولوجية ترى بوجود لغة أساسية ومعقدة بين لغة البشر العاديين وبين لغة

العلم ذاته نجد أن **جيدنز** نحا نفس الجانب؛ فالحياة تنطوي علي تفاعلات وتتشكل في هيئة تأويلات متبادلة بين الفاعلين، هذه التفاعلات تتشكل في هيئة رموز لغوية، وبالتالي فمهمة عالم الاجتماع هنا توجب عليه عند دراسة هذا العالم أنه لابد وأن يفهم نسق المعاني والرموز، وأن يتداخل في هذا العالم، وأن يندمج داخل هذه الصور والمعاني ويفهم كيف تشكلت علي هذا النحو، ولماذا هي كذلك. وجوهر منهجية التأويل هو أن الباحث يؤل الأفعال وأن يفهم التأويلات التي تُبنى وتتشكل بها الحياة الاجتماعية أو الموقف الذي حدثت فيه الأفعال.

" ويؤكد في ضوء ذلك "**جيدنز**" أن التأويل يدخل إلي مجال النظرية الاجتماعية عن طريقين: **الأول**: أن النظرية الاجتماعية تدرس عالماً اجتماعياً يحمل تأويله الخاص بالنسبة للمشاركين فيه **والثاني**: أن المنظر يجب عليه أن يُشارك في هذا العالم الاجتماعي ليتمكن من وصفه وصفاً صادقاً؛ فالعلم الاجتماعي نفسه ما هو إلا شكل من أشكال الحياة. وهكذا فإن النظرية الاجتماعية لا يمكن إلا أن تتخذ من فلسفة التأويل إطاراً موجهاً لها [٦٤]، فمنهجية التأويل المزدوج ليست جديدة بل عمل **جيدنز** على تطويرها بشكل ملائم يتناسب مع رؤيته المنهجية واستنده بالتأويل المزدوج من خلال مشاركة الباحث الاجتماعي في وصف الممارسات اليومية وتحليلها [٦٥].

وفي محاولة فهم كيف يتم التأويل المزدوج، هذا يقصد به فهم قصدية الأفعال ويميز جيدنز في حديثه بين كلمات مثل "الغرض – القصد – البنية "، ولكنه يستخدمها كمترادفات ويعرف الفعل القصدي الغرضي بأنه "أي تصرف يعرف (أو يعتقد) الفاعل علي أنه من المتوقع أن يبرز صفة معينة أو نتاجاً بذاته. ويستفيد الفاعل في إطاره بهذه المعرفة لكي يفضي إلي التوصل إلي هذه الصفة أو النتيجة"، والقصد قد يتم ليس بتخطيط الشخص ذاته بل قد يقوم عنه آخرون وهنا يميز جيدنز بين نوعي الأفعال المقصودة وغير المقصودة، فالنتائج غير المقصودة للأفعال القصدية قد تتخذ أشكالاً متعددة، وأحد هذه الأشكال هو ما يترتب علي عدم تحقق الفعل القصدي، وما ينشأ عن سلوك الفاعل من نتيجة أو نتائج أخرى قد تترتب علي أن المعرفة المستخدمة كوسيلة معرفة خاطئة أو غير ذات علاقة بالهدف المقصود، أو بسبب خطأ الفاعل فيما يختص بالظروف التي تستدعي اللجوء إلي استخدام هذه الوسيلة، يختلف ذلك عندما يفضى

تحقيقه ما كان مقصوداً إلي عدد من النتائج الأخرى فعلي سبيل المثال قد يُنار لشخص الطريق ليسير فيه وهذا ينبه اللص في ذات الوقت وهذا التنبيه للص لم يكن من مقاصد الشخص (٦٦).

ولذلك عندما تميز بين فكرة القصد والهدف في سلوك الإنسان وعالم الطبيعة تجد أن الفارق بين عالم الطبيعة والعالم الاجتماعي هو أن عالم الطبيعة لا يصوغ نفسه بوصفه ذى معنى . فالمعني الذي يكتسبه يكون نتاجاً لنشاط الكائنات الإنسانية في مسار حياتهم العملية ونتاجاً لسعيهم الحثيث لفهم أو تفسير هذا العالم لأنفسهم، أما الحياة الاجتماعية التي تمثل بين ناحية أخرى جزءاً من هذا السعي الحثيث فهي نتاج لمكوناتها الفاعلة وصياغتهم، وكذلك إعادة صياغتهم النشطة لأطر المعنى الذي ينظمون من خلالها خبراتهم (٦٧)، إذن فكرة الظروف غير المقصودة في جوهرها تلفت الانتباه إلي فكرة عالم اللاوعي، وما هو خفي من السلوك، وما لا يجوز الحديث فيه؛ وبالتالي إعتمد " **جيدنز** " علي بعدين منهجيين هما التأويل المزدوج وفكرة الأفعال والظروف غير المقصودة، وهما يُمثلان إحدى ركائز رؤية **جيدنز** المنهجية.

ومن جانب آخر انتقد "**جيدنز**" الوظيفية بل وكان يقول إنه يسعى إلي تحديث نظري مميز يقوم على قواعد قوية في التفسير الاجتماعي ولا يمكن من وجهة نظره القبول بالوظيفية لأنها "تعتمد علي مقدمات غير مقبولة"؛ إلا أنه تأثر بكبار رواد الوظيفية أمثال "**روبرت ميرتون**" وحديثه حول الظواهر الكامنة والظاهرة وتحليله لمفهوم العلة والسبب في الظواهر القصدية في الأفعال. ويدل هذا الأمر أن **جيدنز** عمد الي إستخدام منهجية أخرى وهي النتائج غير المقصودة للأفعال حيث إن نظريته التأويلية (الهرمنيوطيقية) تحتاج إلي فهم أدق للفعل ذي المعنى والظروف غير المقصودة للفعل (٦٨) . إذن الجذور المنهجية لنظرية الانبناء عند "**جيدنز**" بشكل أساسي تقوم علي التوليف بين الفهم التأويلي النقدي (فهم المعاني الداخلية للعقل) وبين فكرة الوظيفية حول النتائج غير المقصودة للأفعال كما صاغها "**روبرت ميرتون**" ورغم الاختلاف الظاهر بين المكونين فإن بالإمكان التوصل إلي رابط بينهما؛ فقد كان **ميرتون** يرمي إلي تخليص الوظيفية من الفهم الدوركايمي الذي يهتم بالعلاقات الخارجية وبصور القواعد الخارجية الضابطه للسلوك، وكان جوهر مفهوم النتائج غير المقصودة للفعل هو البحث عما هو غير ظاهر من السلوك الخارجي والتعمق خلف القواعد الخارجية لاكتشاف الجوانب العميقة للفعل الاجتماعي (٦٩).

ومن الواضح – بناء علي هذا الفهم لمفهوم " **ميرتون –** " Merton أنه مفهوم لا يتعارض كثيراً مع فكرة الفهم التأويلي بمفهوم "**ماكس فيبر**"، أو الفهم المتعمق بمفهوم " **بيتر ونيش**"، فجهد التأويل يجب أن يتجه إلي اكتشاف الجوانب غير المقصودة في الأفعال الاجتماعية وأن نفهم المعنى عن طريق التأويل وهو الذي يتضح لطريق نحو اكتشاف الجوانب غير المقصودة في الأفعال الاجتماعية (٧٠)، وبذلك يبتعد **جيدنز** عن المفهوم الدوركايمي للبناء بأنه يعيق الفرد عن تحقيق ما يريده ومع ذلك فإن الفاعلين يمكن أن يفقدوا السيطرة علي الخصائص البنائية للأنساق الاجتماعية مع إمتداد الزمان والمكان إلا أن فقدان هذه السيطرة ليس أمراً حتمياً (٧١).

"ومن هنا فإن الأطر المفاهيمية في العلوم الاجتماعية تعكس إزدواجية هيرمينوطيقية ترتبط بالنفاذ إلي أطر المعنى الفاعلة في إنتاج الحياة الاجتماعية واستيعابها من قِبَل عامة الناس الفاعلين، وإعادة صياغة هذه الحياة في ظل أطر جديدة للمعني تدخل في الأطر المفاهيمية الفنية، وبالتالي فالتأويل المزدوج في العلوم الاجتماعية يضعها موضعاً مختلفاً تماماً عن العلوم الطبيعية من ناحية أساسية واحدة، فالنظريات والمفاهيم التي تفرزها العلوم الطبيعية عادة ما تسرب بصفة منتظمة إلي لغة الحوار العام بحيث يتشكل عناصر يتم تمثيلها في الأطر المرجعية للحياة اليومية، ولكن هذا بالطبع ليس له علاقة بعالم الطبيعة ذاته. أما في العلوم الاجتماعية فإن تبنى واستيعاب هذه المفاهيم الفنية والنظريات التي ينتجها العلماء الاجتماعيون يمكن أن يحولهم إلي عناصر مؤسسة لموضوع العلم ذاته الذي تمت صياغة مفاهيمه والنظريات لكي تصفه. ومن ثم تغير من إطار تطبيقها، هذه العلاقة التبادلية بين الفهم البديهي العام والنظرية العلمية علاقة غريبة؛ ولكنها تمثل ملمحاً مثيراً من ملامح البحث الاجتماعي (٧٢).

وبناءً علي ما سبق يمكن أن نخلص إلي رؤية أوضح لمنهجية **جيدنز** تقوم علي أن المفاهيم في علم الاجتماع تخضع إلي تأويل ثنائي، ويتضمن هذا أن أي تعميم نظري في العلوم الطبيعية أو الاجتماعية هو في ذاته شكل من أوجه الحياة؛ ولهذا لابد من التحكم في المفاهيم ودلالاتها كأنماط من النشاطات العملية تنتج أنواعاً خاصة من الوصف الاجتماعي يتعامل مع واقع تم بناؤه في أطر المعاني من قبل أعضاء الجماعة الفاعلين أنفسهم. وقد تم تأويله بلغة عادية بينما يستخدم الباحث في تأويله لغة فنية تقنية، وهذا التأويل الثنائي من المسائل المعقدة حيث لا تكون العلاقة

كما يرى "**شوتز**" واحدة لواحد ؛ فقد يفرض الباحث معان ولغة تقنية علمية قد لا تتفق مع المعاني في الحياة العادية (٧٣)

وبهذا يحاول **جيدنز** الجمع بين التأويل والتفسير، أو بين الحقيقة الذاتية المتمثلة في معني الفعل والحقيقة الموضوعية المتمثلة في الظروف والبناءات بما في هذا المعايير والقوة (٧٤). إن العالم الاجتماعي يفهم بوصفه إنجاز الذوات الفاعلة النشطة التي تكون علي قدر من المهارة وصياغة هذا الفهم بالضرورة يعتمد علي اللغة، واللغة هنا ليست مجرد نسق من العلامات والرموز بل كوسيط للنشاط الإنساني. ويعتمد العالم الاجتماعي بالضرورة علي نفس المهارات التي يعتمد عليها أولئك الذين يسعون لتحليل سلوكهم حتي يستطيع وصفه، ويعتمد توليد توصفيات السلوك الإنساني علي المهمة التأويلية المتمثلة في النفاذ إلي أطر المعنى التي يعتمد عليها الفاعلون أنفسهم في صياغة وإعادة صياغة العالم الاجتماعي(٧٥). فالتأويل يعتمد علي عملية مزدوجة تسير في اتجاهين أساسيين يمثلان قطبي الهرمنيوطيقيا لكون ذلك يمثل جوهر فهم وتفسير الأفعال في الإطار الاجتماعي؛ فمهمة عالم الاجتماع هي مهمة تأويلية تفسيرية تعتمد علي تحليل مزدوج.

"وقد أرسي **جيدنز** مجموعة من القواعد الجديدة في علم الاجتماع علي غرار ما فعل إميل **دوركايم**، وهي إلي حد كبير تختلف عن ما أسماه **جيدنز** "مانفستو" السوسيولوجي الشهير والذي أطلقه **دوركايم** منذ قرن من الزمان، وتتمثل هذه القواعد في:

١- عدم اهتمام علم الاجتماع بعالم من الأشياء المعطاة مسبقاً، بل بعالم تشكله أو تنتجه المشاركة النشطة للذوات ؛ فالبشر يغيرون الطبيعة إجتماعيا، ومن ثم يغيرون أنفسهم من خلال إضفاء الطابع الإنساني عليها، ولكنهم بالطبع لا ينتجون العالم الطبيعي الذي يُشكل عالم من الموضوعات مستقلاً عن وجودهم، وإذا ما خلقوا تاريخاً في إطار عملية تغيرهم لهذا العالم ومن ثم حياة في التاريخ فإنهم يفعلون ذلك لأن عمليات إنتاج المجتمع وإعادة إنتاجه ليستا مبرمجتين بيولوجياً كما هو الحال عند الحيوانات الأدنى مرتبة.

٢- عملية انتاج وإعادة إنتاج المجتمع يجب أن تعالج بوصفها أداء مهاري من قبل أعضاء المجتمع، وليس كسلسلة من العمليات الآلية، وليس معنى التأكيد علي

ذلك القول بأن الفاعلين علي وعي تام بهذه المهارات أو بكيفية استخدامها أو أن أشكال الحياة الاجتماعية يمكن أن تفهم فهماً ملائماً بوصفها الثمار المقصودة للفعل.

٣- مجال الفعل الإنساني محدود بحدود معينة؛ فالبشر يخلقون المجتمع، ولكنهم يفعلون ذلك باعتبارهم فاعلين مشروطين تاريخياً، ولا يفعلون في ظل ظروف من اختيارهم ومع ذلك فهناك هامش غير ثابت من السلوك الذي يمكن أن يحلل الفعل القصدي؛ وبالتالي فمهمة التحليل المنطقي في علم الاجتماع تكمن في التوصل إلي تفسير للخصائص البنائية للنسق الاجتماعي.

٤- عدم وجوب صياغة البناء الاجتماعي مفاهيماً وكأنه يفرض حدوداً علي العقل الإنساني وحسب؛ وإنما كعنصر ييسر تحقيق هذا الفعل، وهذا ما يسمى بازدواجية البناء، والبناء يمكن دائماً أن يفحص في ضوء عملية صياغته البنائية أساساً. وبالتالي البحث في عملية الصياغة البنائية للممارسات الاجتماعية حول كيفية صياغة البنية من خلال الفعل وصياغة الأفعال بدورها بنائياً.

٥- عدم إمكانية استحضار الملاحظ السوسيولوجي للحياة الاجتماعية كظاهرة تحت الملاحظة بمعزل عن الاعتماد علي معرفته بها كمصدر يتم من خلاله تأسيسها لموضوع البحث.

٦- انطواء عمليات الصياغة البنائية علي تفاعل بين المعاني والمعايير والقوة، وهذه المفاهيم الثلاثة تعد مرادفة تحليلياً للمصطلحات الأولية في العلم الاجتماعي، وهي متضمنة منطقياً في كل من فكرة الفعل القصدي خلال تأسيسها لموضوع البحث.

٧- الانغماس والاستغراق في شكل من الحياة الاجتماعية هو الشرط الضروري والوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها للملاحظ أن يولد مثل هذا التوقيف.

٨- خضوع المفاهيم السوسيولوجية لازدواجية تأويلية ؛ وبالتالي إن أي مخطط نظري في العلوم الاجتماعية أو الطبيعية يعد بمعنى من المعاني شكلاً من أشكال الحياة ذاتها يجب أن تخضع مفاهيمه باعتبارها نمطاً للنشاط العملي الذي يولد أشكالاً من

التوقيعات، وهذا هو جوهر التأويل المزدوج. فعلم الاجتماع يتعامل مع عالم تمت صياغته مسبقاً في داخل أطر المعنى بواسطة الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم، وهو يعيد تفسير هذه الأطر داخل مخططات النظرية متوسطاً بين اللغتين الدارجة والفنية، وهذه الإزدواجية التأويلية تتسم بدرجة بالغة التعقيد، حيث إن الرابطة ليست مجرد طريق ذي إتجاه واحد وبالتالي يحدث امتصاص متواصل للمفاهيم المصاغة في علم الاجتماع.

وباختصار فإن المهام الأساسية للتحليل السوسيولوجي هي كالتالي:

أ- التحليل التأويلي والتوسط بين أشكال الحياة المختلفة داخل ما وراء اللغات الوصفية للعلم الاجتماعي.

ب- تحليل عملية إنتاج وإعادة إنتاج المجتمع باعتبارها الثمرة التي يحققها الفعل الإنساني(٧٦).

إضافة إلي ذلك يؤكد **جيدنز** أن التأويل يحيط بالنظرية الاجتماعية من كل جانب؛ فمهمة العالم الاجتماعي هي مهمة تأويلية، كما أن الموضوع الذي يفسره يتأسس في تشكيله علي تأويل الأفعال اليومية في الحياة الاجتماعية (٧٧).

رؤية **جيدنز** المنهجية تقوم علي منهجية أسماها التأويل المزدوج أو الهرمنيوطيقيا التي تقوم بشكل أساسي علي مهمة العالم أو الباحث الاجتماعي، وهي مهمة تأويلية، لأن النظرية الاجتماعية هي نظرية متشبعة بالتأويل طبقاً "**لجيدنز**"، وبالتالي يندمج العالِم الاجتماعي في هذا العالم الاجتماعي محاولاً دراسته وأن نفهم صور الحياة التي تشكله وتلك مهمة تأويلية بدرجة كبيرة ومن ثم فهم النظم الاجتماعية والأفعال البشرية في أي مجتمع يعتمد علي تأويل علاقته الاجتماعية، بالإضافة إلي فهم الطريقة التي تتشكل من خلالها تأويلات الناس. إذن التأويل المزدوج عند **جيدنز** يعني أمرين هما التأويل من ناحية الباحث من جانب وفهمه للتأويلات التي تُبني عليها، وبالتالي القدرة علي فهم لغة الواقع ومن ثم تفسيره بطريقة منهجية وبهذا تخضع المفاهيم في علم الاجتماع إلي عملية تأويل ثنائية تشتمل علي فهم المعاني في سياقها العادي الطبيعي والمعاني المرتبطة بفهم وتفسير الباحث الاجتماعي وما يؤوله هو شخصياً، وهذا هو

جوهر الهرمنيوطيقيا ويقترب هذا إلي حد كبير من مصطلح الفهم عند "**ماكس فيبر**" الذي يعتمد على محاولة كشف المعنى ومعرفة الغموض الذي يحيط بالفعل الاجتماعي والممارسات لدى الأفراد.

**إذن مستويات التأويل عند جيدنز مستويين هما:**

١- تأويل يقوم به الناس في واقع الحياة أثناء التفاعلات اليومية، والذين يعتبر هم يقومون بفعل بطريقة واعية أو غير واعية متضمنة لفكرة الأفعال المتضمنة .

٢- تأويل يقوم به الباحث الاجتماعي الذي يحاول فهم وإدراك طبيعة تلك التفاعلات حيث يقوم بتأويل وتفسير لما تم تفسيره من ناحية الأفراد أنفسهم، وهذا يُمثل الرؤية المنهجية الأساسية والتي قامت عليها النظرية الانبنائية.

**خاتمـة:**

١- **جيدنز** عالم اجتماع بريطاني وأكاديمي متخصص وله شهرة عالمية وضعته مع كبار مصاف علماء النظرية الاجتماعية، وأقام مشروعاً فكرياً مميزاً يعتمد علي ثلاثة قواعد ومحاور رئيسية.

٢- **المحور الأول:** في مشروع **جيدنز** هو نقد النظرية في علم الاجتماع الذي يرى فيه ضرورة أن يعي علماء الاجتماع السياق الاجتماعي الذي تتشكل ضمنه النظريات الاجتماعية. وليس المقصود بالنقد الهدم بل إعادة القراءة من جديد لأصول النظرية الاجتماعية وروادها وفهم السياقات التي وجدت فيها حيث اعتمد **جيدنز** في نقد النظرية علي تحليل لكتابات **ماركس، "دوركايم"** و**فيبر** بشكل مفصل مكنه من فهم أعمق وأوسع للأطار النظري في علم الاجتماع، وبرز هذا في كتابه "الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة". والنقد لدى **جيدنز** يعتمد علي زوايا ثلاث تُشكل أساس الخيالي السوسيولوجي وهي: الحساسية التاريخية والحساسية الأنثروبولوجية والحساسية النقدية .

٣- **المحور الثاني:** في المشروع النظري يقوم علي نقد مشروع الحداثة الغربية، يؤكد فيه **جيدنز** علي أن الحياة المعاصرة في المجتمعات الان هي حداثة متأخرة وليست ما بعد الحداثة؛ فثمة خصائص أساسية ثلاث تميز الحداثة المتأخرة هي: **انفصال الزمان والمكان وتقلقل المؤسسات الاجتماعية وانتشار الانعكاسية وإعادة النظر.**

٤- **المحور الثالث:** في المشروع الفكري يتمثل في تأكيد "**جيدنز**" أن التأويل يدخل إلي مجال النظرية الاجتماعية عن طريقين أساسيين: **الأول:** أن النظرية الاجتماعية تدرس عالماً اجتماعياً يحمل تأويله الخاص بالنسبة للمشاركين فيه، **والثاني:** أن المنظر يجب عليه أن يشارك في هذا العالم الاجتماعي ليتمكن من وصفه وصفاً صادقاً؛ فالعلم الاجتماعي نفسه ما هو إلا شكل من أشكال الحياة فمن ثم فإن النظرية الاجتماعية لا يمكن إلا أن تتخذ من فلسفة التأويل إطاراً موجهاً لها.

٥- يؤكد "**جيدنز**" أن التأويل يحيط بالنظرية الاجتماعية من كل جانب فالرؤية المنهجية تعتمد علي التأويل المزدوج الذي يقوم فيه التأويل علي مستوى فهم وتأويل الأفراد ومستوى تأويل الباحث الاجتماعي لما تم تأويله من قبل.

المراجع:


١- Christopher G.A. Bryant and David Jary, Anthony Giddens ( in ) George Ritzer, Gefery Stepnisky ( ed ) The Blackwell ComPanion To magor Contemporary Social Theorists, London, Blackwell Publishing, 2011, P 247.

٢- Steven Loyal, The Sociology of Anthony Giddens, London, Pluto Press, 2003, PP 4 – 5 .

٣- Anthony Giddens : meat the Director, 1999.http://www.ise.ac.4k/ Giddens/meat.htm, P1.

٤- علي عبد الرازق جلبي، عبد الله محمد عبد الرحمن، هاني خميس عبده، النظريات المعاصرة في علم الاجتماع، الإسكندرية، دار الرواد للكمبيوتر والتوزيع، ٢٠٠٨، ص ٣٧٨ .

٥- جوردن مارشال، جون سكوت، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، القاهرة ، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، المجلد الأول، ٢٠١١، ص ٦١١.

٦- أنظر: مقدمة كتاب: أنتوني جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة: أحمد زايد وآخرون، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢ ، ص ص ١٦ – ١٧ .

٧- أنظر: مقدمة كتاب: أنتوني جيدنز، الطريق الثالث: تجديد الديمقراطية الاجتماعية: ترجمة: أحمد زايد، محمد محيي الدين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٠، ص ٢٦، ٢٧ .

٨- أنتوني جيدنز، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة: تحليل كتابات ماركس، دوركايم، ماكس فيبر، ترجمة: أديب يوسف شيش، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢، ص ٥ .

٩- أحمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع: نظرية تشكيل البنية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد ٣٣، العدد الأول والثاني، يناير / مايو، ١٩٩٦، ص ٥٩.

١٠- Jonathan H.turner, Review Essay : The Theory of Structuration, American Journal of Sociology ,Volume 91, Number4 January, 1986, PP 969 – 970 .

١١- أنتوني جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة: أحمد زايد وآخرون، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ،كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٣ .

١٢- المرجع السابق، ص ٣٤ – ٣٥ .

١٣- المرجع السابق، ص ص ٤٠ – ٤٢

١٤- المرجع السابق، ص ٤٣ .

١٥- المرجع السابق، ص ص ٤٥ – ٤٧

١٦- المرجع السابق، ص ١٤٥ – ١٦٣ .

١٧- Mukunda Lamasal, the structuration approach of Anthony Giddens, Himalayan Journal of sociology and anthropology. Vol. 5 , 2012 , P 113

١٨- أنتوني جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة: أحمد زايد وآخرون، مرجع سابق، ص ١٧٠ – ١٩٠

١٩- المرجع السابق، ص ١٨٨ – ١٨٩.

٢٠- Jonathan H.turner, Review Essay : The Theory of structuration, op. cit. P 970 .

٢١- martina low, the constiution of space : through he simultaneity of effect and perception, Europian Journal of social theory, Vol 11, No 2, 2008, PP 25 – 31.

٢٢- أنتوني جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة: أحمد زايد وآخرون، مرجع سابق، ص ١٩٣.

٢٣- المرجع السابق، ص ١٩٤ – ٢٠٠.

٢٤- أنتوني جيدنز، الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة، ترجمة: أديب يوسف، مرجع سابق، ص ٥ – ١٣ .

٢٥- Anthony Giddens , the consequences of modernity, Cambridge, Polity Press, 1996, P 1

٢٦- Steven Loyal, The Sociology of Anthony Giddens, Op. Cit. P 124

٢٧- Anthony Giddens , the consequences of modernity, Op. Cit, P 52

٢٨- ipid, P 52 .

٢٩- محمد سعيد فرح، الحاجة إلي علم اجتماع مصري بنظريات مبتكرة ونظرة إلي موقف الاجتماعيين المصريين من قضايا المجتمع، القاهرة، مجلة الفكر المعاصر، الإصدار الثاني، العدد السابع، يوليو – سبتمبر ٢٠١٧، ص٤٧.

٣٠- Anthony Giddens , the consequences of modernity, op cit., P 149 – 150مصدر الجدول

٣١- لاهاي عبد الحسين، قراءات في النظرية السوسيولوجية: من التراث الكلاسيكي إلي مدرسة ما بعد الحداثة (نصوص مختارة)، بيروت، منشورات الجمل، ٢٠١٦، ص ٤٨ .

٣٢- محمد سعيد فرح، الحاجة إلي علم اجتماع مصري بنظريات مبتكرة: نظرة إلي موقف الاجتماعيين المصريين من قضايا المجتمع، مرجع سابق، ص ٤٧ .

٣٣- آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمة: أنور مغيث، القاهرة، المجلس الأعلي للثقافة، المركز القومي للترجمة ،١٩٩٧ ، ص ٢٦ .

٣٤- Anthony Giddens , the consequences of modernity, OP. Cit, P 53 .

٣٥- ipid, P 53 .

٣٦- آلن هاو، النظرية النقدية، ترجمة: ثائر ديب، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥، ص ١٦١ .

٣٧- **Steven Loyal**, **The Sociology of Anthony Giddens**, **Op**. **Cit**. **P 121** .

٣٨- **IPid**, **P 53** .

٣٩- **Anthony Giddens , the consequences of modernity**, **OP**. **Cit**, **P 53** .

٤٠- أحمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع: نظرية تشكيل البنية، مرجع سابق، ص ٦١.

٤١- **Paul Wetherly**, **The reform of Welfare and the way we live now : acritique of Giddens and third way**, **contemporary Politics**, **Vol 7 , No2**, **2001**, **PP 152 – 153**

٤٢- **Anthony Giddens , the Nation– state and violence : Volume two of contemporary critique of historical materialism**, **London**, **Polity Press**, **1989 , PP 310 – 311** .

٤٣- مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع (مترجم)، القاهرة، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧٢ .

٤٤- المرجع السابق، ص ١٢١ .

٤٥- إيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلي هابرماس، ترجمة: محمد حسين غلوم، مراجعة محمد عصفور، الكويت، المجلس القومي للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، ١٩٩٩، ص ١٨١.

٤٦- **Steven Loyal**, **The Sociology of Anthony Giddens**, **Op**.**Cit**, **P 115 – 120** .

٤٧- Anthony Giddens , the consequences of modernity, OP. Cit, P 175 .

٤٨- مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع (مترجم)، مرجع سابق، ص ١٢٠ .

٤٩- تيم ادواردز، النظرية الثقافية: وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، ترجمة وتقديم: محمود أحمد عبد الله، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢، ص ١٧٤ – ١٨٦.

٥٠- Anthony Giddens , the consequences of modernity, OP. Cit, P 54.

٥١- مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع (مترجم)، مرجع سابق، ص ١٢٠.

٥٢- آلان تورين، نقد الحداثة، ترجمه: أنور مغيث، مرجع سابق، ص ٣٤١ – ٣٤٢

٥٣- Christopher G.A. Bryant and David Jary, Anthony Giddens ( in ) George Ritzer, Gefery Stepnisky ( ed ) The Blackwell ComPanion To magor Contemporary Social Theorists,. OP. Cit. P 260 – 261

٥٤- Anthony Giddens , the consequences of modernity, OP. Cit, P 3 .

٥٥- تيم إدواردز، النظرية الثقافية: وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة، ترجمه: محمود أحمد عبد الله، مرجع سابق، ص ١٩٠.

٥٦- مروة صلاح الدين عبد الله، علم الاجتماع ما بعد الحداثة: رؤي نظرية ومقاربات منهجية، القاهرة، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص ص ٢٣٦ – ٢٣٧.

٥٧- أنتوني جيدنز، قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع، ترجمة: محمد محي الدين، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ٢٠٠٠، ص ص ١١٥-١٥٣.

٥٨- أحمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع: نظرية تشكيل البنية، مرجع سابق، ص ٦٢ – ٦٥.

٥٩- أنتوني جيدنز، قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع: نقد إيجابي للإتجاهات التفسيرية في علم الاجتماع، ترجمة: محمد محي الدين، مرجع سابق، ص ص ١٤١ – ١٤٧ .

٦٠- إبراهيم عيسى عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، عمان، دار الشروق، ٢٠١١، ص ٢٦٧.

٦١- أحمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع: نظرية تشكيل البنية، مرجع سابق، ص ٦٥.

٦٢- مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع (مترجم)، مرجع سابق، ص ٣٦٨ .

٦٣- أحمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع : نظرية تشكيل البنية، مرجع سابق، ص ٦٥ – ٦٦.

٦٤- أحمد زايد، الهرمنيوطيقيا وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية، مجلة إضافات، العدد الخامس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، آيار / مايو ، ٢٠٠٤ ، ص ص ٢٥ – ٢٦.

٦٥- **Kyung – Man Kim, critical theory criticized: Giddens double hermeneutic and the problem of language game change, culture studies, critical methodologies, Vol 4,No 1,2004, pp 28 – 29.**

٦٦- أنتوني جيدنز، قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع: نقد إيجابي للإتجاهات التفسيرية في علم الاجتماع، ترجمة: محمد محي الدين، مرجع سابق، ص ص ١٨٠ – ١٨٢ .

٦٧- المرجع السابق، ص١٨٤.

٦٨- Anthony Giddens : Profiles and critiques in social theory, op, cit,P6 .

٦٩- أحمد زايد، آفاق جديدة في نظرية علم الاجتماع: نظرية تشكيل البنية، مرجع سابق، ص ٦٦.

٧٠- المرجع السابق، ص ٦٧.

٧١- مصطفى خلف عبد الجواد، قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع (مترجم)، مرجع سابق، ص ٣٩٨.

٧٢- أنتوني جيدنز، قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع: نقد إيجابي للإتجاهات التفسيرية في علم الاجتماع، ترجمة: محمد محي الدين، مرجع سابق، ص ١٨٤ – ١٨٥.

٧٣- المرجع السابق، ص ٢٨٠ – ٢٨١.

٧٤- إبراهيم عيسى عثمان، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢٧٧ .

٧٥- أنتوني جيدنز، قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع: نقد إيجابي للاتجاهات التفسيرية في علم الاجتماع، ترجمة: محمد محي الدين، مرجع سابق، ص ٢٧٤.

٧٦- المرجع السابق، ص ٢٧٨ – ٢٨١.

٧٧- أحمد زايد، الهرمنيوطيقيا وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٦٦.